

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع النقوى - الحلقة ٠٣٩ : قال تعالى : ((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ...)) .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-١٠-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .

قال تعالى :

((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ...))

أيها الأخوة الكرام ؛ في الآية الكريمة وهي قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهَ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

[سورة فصلت الآية: ٣٠ - ٣١ - ٣٢]

تفسير قوله تعالى : ألا تخافوا ولا تحزنوا .

حيث ما وردت في القرآن الكريم كله كلمة :

﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

هذه الجملة تغطي الزمن كله .

﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا ﴾

من المستقبل .

﴿ وَلَا تَحْزَنُوا ﴾

على الماضي ، فمن صفات المؤمن أنه لا يخاف ولا يحزن ، والآية الدقيقة تقول :

﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾

﴿ يَشْقَى ﴾

[سور طه الآية : ١٢٣]



من صفات المؤمن أنه لا يخاف ولا يحزن

والآية الثانية المتممة لها :

﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[سور البقرة الآية : ٢٨]

لو جمعت الآيتين ، الذي يتبع هدى الله عز وجل لا يضل عقله ، ولا تشقى نفسه ، ولا يندم على ما فات ، ولا يخشى مما هو آت ، ماذا بقي من سعادة الدنيا والآخرة ؟

تفسير قوله تعالى : إن الذين قالوا ربنا الله .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾

بالمناسبة :

﴿ قَالُوا رَبُّنَا ﴾

يعني اعتقدوا اعتقاداً جازماً ، النفاق ظهر متأخراً ، فقبل ظهور النفاق قالوا يعني اعتقدوا ، أما الآن لك أن تقول ما يرضي الآخر وأنت لست كذلك ، صار في نفاق الآن .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

الإيمان من دون استقامة لا جدوى منه .

أيها الأخوة الكرام ؛ الإيمان من دون استقامة لا جدوى منه إطلاقاً ، والأدلة كثيرة جداً .
((يوتى برجال يوم القيامة لهم أعمال كجبال تهامة يجعلها الله هباء منثورا ، قيل يا رسول الله جلهم لنا ، قال : إنهم يصلون كما تصلون ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))



هذه الصلاة .

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ،
فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ
وَشْرَابَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبو هريرة]

هذا الصيام .

((من حج من مال حرام ، ووضع رجله في الركاب وقال : لبيك اللهم لبيك ، ينادى أن لا لبيك
ولا سعديك وحجك مردود عليك))

هذا الحج .

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة ، قيل وما حقها ؟ قال : أن تحجزه عن محارم الله))
 العبادات : الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة عبادات شعائرية ومع ذلك إن لم تسبقها استقامة
 لا تقطف ثمارها ، فذلك :
 الصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، وسيدة القربات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض
 والسموات ، إن لم ترافق الصلاة الاستقامة لا تقطف ثمارها .

الدين كل لا يتجزأ .

الإنسان أحياناً يختار من الدين الصلاة القضية سهلة ، لكن يا ترى الدخل حلال ؟ في شك بالدخل
 ؟ في حرمة ؟ في معصية ؟ فلما تفهم الدين عبادات شعائرية هذا فهم في انحراف كبير عن
 الحقيقة ، يعني المسلمون يزيدون عن مليار وسبعمئة مليون ، وليست كلمتهم هي العليا ، وليس
 أمرهم بيدهم وللطرف الآخر عليهم ألف سبيل وسبيل ، ومع ذلك أمرهم ليس بيدهم ، إذا أين
 وعود الله عز وجل أين :

﴿ وَكَانَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

[سور النساء الآية : ١٤١]

لهم علينا ألف سبيل وسبيل ، أين :
 ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾

[سور النور الآية : ٥٥]

نحن لسنا مستخلفين .

﴿ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾

[سور النور الآية : ٥٥]

وديننا ليس ممكن في الأرض .

﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾

[سور النور الآية : ٥٥]

نحن لسنا آمنين ، لسنا مستخلفين ، لسنا ممكنين ، لسنا آمنين ، أين الخلل ؟ في عنا خلل كبير
 ، قال :

﴿ يَعْْبُدُونَنِي ﴾

[سور النور الآية : ٥٥]

فإن قصرنا في عبادتنا فإله جل جلاله في حل من وعوده الثلاث .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[سور فصلت الآية : ٣٣]

الإيمان من لوازمه الاستقامة .

والدعوة إلى الله عز وجل من لوازمها الإحسان .



حينما نهتم بالعبادة الشعائرية ، ولا نهتم بما ينبغي أن يرافقها من عبادة تعاملية ، والعبادة التعاملية وردت في نص دقيق جداً ، لما سيدنا جعفر التقي النجاشي ، وقال : حدثني عن الإسلام، قال :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه))
[عن جعفر بن أبي طالب]

يعني إن حدثك فهو صادق ، وإن عاملك فهو أمين ، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف .

((فدعانا إلى الله لتوحيده ، ولنعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

أخوانا الكرام ؛ هذه الكلمات المتتابعة هي العبادة التعاملية ، ويجب أن نعلم علم اليقين لا الصلاة ، ولا الصيام ، ولا الحج ، ولا الزكاة ، ولا النطق بالشهادة ، تتفعا إن لم تستقم على أمر الله إذا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

الإيمان ثم استقاموا ، والدعوة إلى الله وعمل صالحاً ، إن لم يرافق الدعوة إلى الله عمل صالح لا تؤتي ثمارها إطلاقاً ، وإن لم يرافق الإيمان الاستقامة لا نقطف ثمار الإيمان إطلاقاً .

قال تعالى : وأبشروا بالجنة

الآن :

﴿ وَأَبشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا ﴾

يعني إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ، ويا ربي ماذا فقد من وجدك ، وماذا وجد من فقدك .

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فارك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء))

من هنا ورد في الأثر القدسي :

((إني والإنس والجن في نبأ عظيم ،

أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم نادته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعائب ، الحسنه عندي بعشرة أمثالها وأزيد ، والسيئة بمثلها وأعفو ، وأنا أرأف بعبي من الأم بولدها))

لا شك أن المسلمين يزيدون عن مليار وسبعمئة مليون ، لو اعتقدنا أو ظننا أن من المليار وسبعمئة مليون ، مليون يصلون ، الحديث الصحيح :

((لن تغلب أمتي من أثنى عشرة من قلة))

نحن مليار وسبعمئة ألف ، السبع مئة لم يصلوا ، مليار وليست الكلمة عليا ، وليس أمرنا بيدنا ، وللطرف الآخر علينا ألف سبيل وسبيل ، إذا في عنا خلل ، أين الخلل ؟ قال :

﴿ يَعْْبُدُونَنِي ﴾

أخوانا الكرام ؛ أنت كائن متحرك ، كيف متحرك ؟ هذه الطاولة كائن ساكن ، لو تركتها مئة عام هي هي ، أما أنت يحركك بحاجة إلى الطعام والشراب ، هذه حاجة ببقاء الفرد ، ويحركك الحاجة إلى بقاء النوع دون أن تشعر الزواج ، ويحركك الحاجة إلى بقاء الذكر ، تأكيد الذات التفوق فكل إنسان تحركه حاجات ثلاثة ، الأولى الحاجة إلى الطعام والشراب لحفاظه على بقاءه كفرد والحاجة الثانية إلى الزواج حفاظاً على بقاء النوع ، والحاجة الثالث التفوق حفاظاً على بقاء الذكر وهذه الحاجات الثلاث يرعاها الدين أيما رعاية ، هذه الحاجات الثلاث متوافرة في أحكام الدين ، الله خاطب النبي الكريم فقال :

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

[سورة الانشراح الآية : ٤]

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾



أية خصيصة من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام لكل مؤمن منها نصيب بقدر إيمانه وإخلاصه ، فأبي مؤمن ، إذا استقام على أمر الله ، واصطلح مع الله يرفع الله له ذكره ، يعلي قدره ، صدقوا ولا أبالغ النتائج الذي يجنيها المؤمن من استقامته تفوق حد الخيال ، لا تعد ولا تحصى ، يغطيها هذا النص الكريم الحديث الشريف :

((استقيموا ولن تحصوا))

[أخرجه مالك عن بلاغ مالك]

لن تحصوا الخيرات ، لذلك :

﴿ أَنَا تَخَافُوا ﴾

المستقبل .

﴿ وَنَا تَحْزَنُوا ﴾

على الماضي .

﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

مفهوم الجنة :

أخوانا الكرام ؛ من بعض نصوص النبي الكريم يقول : أبو بكر في الجنة ، قد نفهم من هذا النص أنه مبشر بالجنة ، وفي فهم آخر لهذا النص هو الآن في جنة ، هذه الجنة بالدنيا سماها الإمام ابن تيمية جنة القرب ، هو في جنة ، فلذلك :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾

[سورة الرحمن الآية : ٤٦]

يعني إذا ما بتقول ، وأنا دقيق في كلامي ليس على وجه الأرض من هو



أسعد مني إلا أن يكون أتقى مني يكون في عنا خلل ، إن لم نقل ليس على وجه الأرض من هو أسعد منا لماذا ؟ أنت مع من ؟ مع الرب ، مع الخالق ، مع المسير ، مع العزيز ، مع الحكيم ، مع القوي مع الغني ، مع الرحيم ، إذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة فصلت الآية : ٣١]

يعني إذا كنت بدولة ، وشخص من أقوى الأقوياء ، الأمور كلها بيده ، قال لك : أنا معك ، تمشي بالعرض ، أعلى منصب بالدولة رئيس الجمهورية ، يقول لك : أنا معك ، فإذا كان الله معك فمن عليك ، وإذا كان عليك فمن معك ، والنتمة : ويا ربي ماذا فقد من وجدك ، وماذا وجد من فقد .
من هنا :

((إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى مناد في السماوات والأرض أن هئتوا فلاناً فقد اصطاح

مع الله))

يعني أعلى مقام تصل إليه أن تصطح معه ، ولو واحد سألتني ما هو أعظم شيء في هذا الدين ؟ أنا أرى أن أعظم شيء في هذا الدين معاملة الله لك بعد أن تصطح معه ، شيء يحير سكينته تسعد بها ولو فقدت كل شيء ، وتشقى بفقدها ولو ملكت كل شيء ، أمن :

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ

الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ٨١ - ٨٢]

سداد تصرفات .

﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

[سورة ق الآية : ٢٢]

عندك رؤية صحيح ، أنا أقول لكم المؤمن يرى ما لا يراه الآخرون ، ويسمع ما لا يسمعون ، عنده عقل رشيد ، وفكر سديد ، نزواته ضمن إدارته ، لا تحكمه نزواته يحكمها ، يحكم نفسه ولا تحكمه ، يملك هواه ولا ينفاد له ، سما حتى اشأبت إليه الأعناق ، وطابت نفسه حتى رنت إليه القلوب ، المؤمن شخصية فذة ، شخصية متفوقة ، الشخصية الفذة المتفوقة لها ثلاث خصائص في خصيصة علمية ، وخصيصة أخلاقية وخصيصة جمالية .
ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذته للعلمه .

هذه خصيصة علمية ، من هو المؤمن ؟ عرف الله ، بتعرف شيء بالفيزياء ، تضع إلى جانب اسمك د . دكتور يعني ، تعرف شيء بعلم النفس ، دكتور بعلم النفس ، دكتور بعلم الاجتماع ، والذي عرف الله .

((اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فأتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من

كل شيء))



البطل، الموفق، الذكي، العاقل هو من عرف الله

البطل ، الموفق ، الذكي ، العاقل ،
الذي عرف الله ، الله قال :

﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[سورة الكهف الآية : ٤٦]

فعلاً مال من دون بنين شيء صعب
كثير ، والأصعب منه بنون من دون
مال كلاهما أصعب من الآخر .

﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

في بالقرآن مالمح دقيق جداً ، قال :

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾

[سورة الكهف الآية : ٤٦]

لما قال :

﴿ وَالْبَاقِيَاتُ ﴾

وصف ما قبلها .

﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونُ ﴾

زائلات يعني .

﴿ الْمَالُ وَالْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ﴾

عند العلماء الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر يعني إذا
سبحته ، وحمدته ، ووحدته ، وكبرته ، يعني عرفته .

أيام طفل صغير عقب العيد يقول لخاله : أنا معي مبلغ عظيم ، كم تقدر هذا المبلغ من فم طفل ؟
أنا أقول مئة دينار فقط ، العيادي الذي جمعهم ، إذا قال مسؤول بالبينتاغون أعددنا لحرب العراق
مبلغاً عظيماً كم تقدره ؟ بمئتي مليار ، كلمة عظيم قالها طفل ، قدرتها بمئة دينار ، قالها مسؤول
قدرتها بمئتي مليار ، فإذا قال ملك الملوك ومالك الملوك ، إذا قال رب العالمين :

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١١٣]

لو معك مئتي مليار ، عنده فندق بباريس ثمانين طابق ، كومبلت دائماً ، كم دخله هذا ؟

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

لذلك أخوانا الكرام ؛ طريق الجنة
واضح ، وأسبابه بيدك ، يعني الله عز
وجل أعطاك الخيار .



طريق الجنة واضح وأسبابه بين يديك

﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾

[سورة الكهف الآية : ٢٩]

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

[سورة الإنسان الآية : ٣]

يعني يلزمنا كل يوم ربع ساعة من أنا ؟ أنت المخلوق الأول عند الله .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب الآية : ٧٢]

لأنك قبلت حمل الأمانة كنت عند الله الأول ، أنت الأول ، والإنسان المؤمن دققوا فوق الملائكة ،
يقول سيدنا علي :

ركب الملك من عقل بلا شهوة ، وركب الحيوان من شهوة بلا عقل ، وركب الإنسان من كيلهما ،
فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة ، المؤمن فوق الملائكة ، وإن سمت شهوته على
عقله أصبح دون الحيوان ، الدليل القرآني :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ *
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾

[سورة البينة الآية : ٦ - ٧]

أنت متاح لك أن تكون أفضل مخلوق بهذا العمر القصير ، شيء من معرفة الله والاستقامة على
أمره ، والعمل الصالح ، ترقى إلى أعلى عليين .
أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعاً بما علمنا ، وأن يحفظ لنا إيماننا ، وأهلنا وأولادنا ،
وصحتنا ، ومالنا .

والحمد لله رب العالمين